الأهرام

المصدر: الاهرام

التاريخ : ٣٠ يوليو ٢٠٠٢

وثيقة ماشاكوس مجرد بداية للسلام ...«وربنا يتمم بالخير»

لكثرة الاتفاقات والمعاهدات التى عقدت بين أطراف النزاع والحروب فى السودان، لم يجدوا سبيلا للتعرف عليها إلا من خلال تسميتها بأسماء أماكن انعقاد هذه الاتفاقات، وهكذا تعرفنا مؤخرا على اسم مكان بسيط منعزل، ولكنه مناسب للاتفاقات الهادفة ويقع على مشارف مدينة نيروبى عاصمة كينيا، وهكذا سيعرف المتابعون للشأن السودانى عبارة: «اتفاقية ماشاكوس» للتعبير عن مذكرة التفاهم أو البروتوكول الذى وقع يوم ٢٠ يوليو الماضى ليكون «بداية» أو كسر جمود ونحجر أو «عربون» لمسلسل اتفاقات أخرى متتالية بين الطرفين المتصارعين أى حاملى السلاح والقنابل وأدوات القتال وحدهما دون غيرهما من السودانيين هما: حكومة «الإنقاذ» بالخرطوم ثم حركة وجيش «تحرير السودان».

نقول، كما عودتنا الأمثال الشعبية فى مصر والسودان ـ عند عقد «خطوبة» بين طرفين كبداية لزواج جديد، أن نستبشر، وبهذا التشبيه أقول ان:

كانت الأخبار «المتسربة» من نيروبى حول المفاوضات بين طرفى النزاع فى السودان، تجرى فى تكتم شديد، وما كان يتسرب منها، أوحى لمعظم المتابعين للشأن السودانى أن الجولة الأولى لمباحثات نيروبى والتى كان محددا لها خمسة أسابيع من ١٧ يونيو حتى ٢١ يوليو ٢٠٠٢ سوف تنتهى دون الوصول لتوقيع أى اتفاق ولكن ربما تحمل الجولة الثانية بعض الأمل، وتمنيت لو أن مصر قررت فى فترة مابين الجولتين تعيين مفوض لها فى هذه المباحثات المهمة.

والمعروف أن جميع القوى السياسية السودانية ـ ومن خلال التجمع الوطنى الديمقراطى المعارض ـ وحسبما جاء فى اتفاقية أسمرة، كانت متفقة ـ وبالاجماع ـ على حق الجنوب فى تقرير المصير بعد فترة انتقالية، ولولا كل ذلك ماحضر ممثل جيش تحرير السودان لأى اجتماع لاحق للمفاوضات!

وفى المقابل كانت حركة تحرير السودان عموما ـ وجون جارنج خصوصا وكما سمعت منه شخصيا متمسكا بفصل الدين عن الدولة ثم عاد فوافق على تعديلها لعبارة «فصل الدين عن السياسة» لأى حكومة ستحكم فى الشمال سواء فى الحقبة الحالية أو المستقبلية أى أثناء الحقبة الانتقالية أو مابعدها.

وفى اللحظة الأخيرة أى قبل فض هذه الدورة الأولى بساعات يبدو أن قوة عظمى قد ضغطت فلم يكن هناك من سبيل إلا توقيع بروتوكول أو مذكرة تفاهم بين الطرفين، وما أعلن من نصوص نشرتها مبكرا جريدة الحياة اللندنية لم يكن كافيا وليس أمامى إلا أن أسجل العبارات التى نشرت وكأنها «شفرة».

● لما كان الطرفان قد أكدا مجددا التزامهما بحل سلمى شامل عبر التفاوض للنزاع فى إطار «وحدة السودان» ولما كان الطرفان قد تباحثا بتفصيل تام واتفقا على اطار واسع بين مبادئ الحكم والتدابير الاجرائية العامة التى سيجرى اتباعها خلال العملية «الانتقالية» وبنى الحكومة التى سيتم انشاؤها بموجب ترتيبات قانونية ودستورية سيتم تثبيتها.

● فإنه يسجل أن الطرفين إتفقا على أن يتفاوضا ويطورا بتفصيل أكبر، الشروط المحددة لهذا الاطار، بما فى ذلك جوانب لم يجر تغطيتها فى هذه المرحلة من المفاوضات كجزء من اتفاق السلام الشامل.

● كما يسجل أنه ضمن من هذا السياق أعلاه توصل الطرفان إلى اتفاق محدد بشأن كل من حق «تقرير المصير لشعب جنوب السودان» وكذلك مسألة «الدولة والدين» بالاضافة إلى «المقدمة» و«المبادئ» و «العملية الانتقالية» من مسودة الاطار التى ألحقت نصوصها المرفقة بهذه الوثيقة، والتى ستضمن لاحقا فى الاتفاق النهائى.

● وجرى الاتفاق والتأكيد على أن الطرفين سيستأنفان المفاوضات فى أغسطس عام ٢٠٠٢ بهدف حل القضايا العالقة وتحقيق حل شامل فى السودان.

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

ويستشف من هذه الأسطر التى سجلت الاتفاق الرسمى «المعلن» أن هناك عشرات التفصيلات التى نوقشت ولعلها سجلت فى المحاضر الرسمية ألمحت لها جريدة الشرق الأوسط فى عددها الجمعة ٢٦/ ٧ خلال هذه الاسابيع الخمسة الماضية، ولكن الشواهد تدعونا للظن فى أن «المخطط» الأمريكى الأوروبى كان يستهدف أن «يفاجىء» كل الأطراف الأخرى بهذا الاتفاق ليس لدول الجوار التى لها تحفظات وإنما كذلك الاحزاب والقوى السياسية السودانية التى أستبعدت أى لم تساهم فى هذه المفاوضات بأى قدر.

ورؤيتى كانت وستظل أن تقرير دانفورث كان البداية «الحقيقية» والفاعلة التى مهدت لهذا الاتفاق ، نقول ان دانفورت - قد ذكر فى أكثر من موقع - أن حل المشكلة السودانية يحتاج إلى «مشاركة كل من لمصر وكينيا»، فمصر لها علاقات جغرافية وتاريخية تجعل وجودها مطلوبا ومهما وكلها أمور قد ألمحت اليها فى مقالاتى الأربعة السابقة وحيث كان نشر المقال الأول منها فى ٢٠٠٢/٦/٤ بعنوان «مستقبل السلام فى السودان».

●●●

لقد فوجئت شخصيا بسرعة إعلان الاتفاق على الرغم من أننى قد نبهت عدة مرات أن السلام فى السودان سيأتى قبل فلسطين، والرأى عندى هو أن أمريكا قد «قررت» دون إعلان - خطوات السلام المتتالية فى السودان وان كانت عقيدتى أن أمريكا سوف ترحب بوحدة السودان، كما أن جون جارنج يسعى لوحدة «سودان جديد» وكنت متصورا - وكما كتبت أحيانا - أن تكون نقطة البداية هى وقف اطلاق النار. واذ باستراتيجية «جديدة» تقدم على طبق «وثيقة ماشاكوس» فى اللحظة الأخيرة للجولة الأولى فشقت الطريق المسدود وعبرت جسرا كان أشبه بحائط برلين، وأتصور بنوع من الخيال أن جهات معينة تعد الآن - إن لم تكن الاتفاقات قد أعدت بالفعل - لخطوات الجولة القادمة مع بدائل وسيناريوهات مختلفة، لعل أوله هو: ما المطلوب فى الستة أشهر القادمة ثم بعد الجولة الثانية المهمة ثم وضع اتفاق تقسيم الثروة وأولها «عائدات البترول» وماهى الحدود الجغرافية للجنوب والشمال، فقد أوجدت الحرب واقعا جديدا غير حدود المديريات التسع التى وضعها الانجليز فى مطلع القرن الـ ٢٠ ..!

هل مسودات الدساتير الثلاثة قد تم صياغتها وهى مسألة قانونية فى غاية التعقيد ولكن توجد لها سوابق فى دول أفريقية أخرى : دستور للقطاع الجنوبى واطاره فيما أتصور «علمانى» يقبل بتعايش المسيحية والاسلام مع الديانات الافريقية الموروثة ويمنيها جميعا للمعايشة، ثم دستور آخر للقطاع الشمالى، ويؤخذ فى الاعتبار أن تكون مرجعية «للشريعة الاسلامية» ولكن هل الشريعة «أحد» مصادر التشريع أم المصدر «الرئيسى» أو المصدر «الوحيد» وأتصور أن خبرة مصر مطلوبة ومرحب بها ولكن الأعقد هو صياغة دستور الدولة المركزية والذى سيطبق فقط فى اقليم الخرطوم وهو أصغر الأقاليم مساحة غير أنه أكثرها نفوذا وسيكون دستوره «حاكما» وربما فاصلا فى المنازعات - ان وجدت سوف تجد بين دستور الشمال ودستور الجنوب، وهناك قضية «الحكومة» الانتقالية فى كل من الشمال والجنوب وفى المركز وكيفية تشكيلها، لقد استبعدت مفاوضات نيروبى كل الأحزاب الرئيسية والصغرى فى السودان بما فيها الحزبان الرئيسيان التاريخيان وهما: الاتحادى الديمقراطى (الخاتمية) وحزب الأمة (الأنصار) فضلا عن الأحزاب «الحديثة» التى اكتسبت نفوذا ووجودا بنضالها ويصر جارنج على «مباركتها» لأى اتفاق، وتعمل حكومة الخرطوم على أن تشاركها فى الحكم، فالكل له «أرضية إسلامية» ان كانت غير متطابقة.

وخلال السنوات الست المتوقعة والمقررة كفترة انتقال طويلة جدا لعلها تبنى الثقة ليس بين الزعماء والقيادات المتناحرة ولكن بين القبائل التى بينها جذور عداوة أفرزتها الحرب والقتل والتشريد والانتقام وخلال هذا السنوات سيتم تحسين الاقتصاد، وبناء كل ماتحتاجه هذه «القارة» المسماة بـ «السودان» من تنمية : مدارس - مستشفيات - مياه - مجارى مساكن وأهم من كل ذلك شبكات طرق فبدونها لن ينمو الاقتصاد. ولن يتم التواصل بين البشر ولن تنمو الثقة وتبادل المصالح والتجارة المشتركة وما إليها، وأتمنى أن يكون د.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

عاطف عبيد ونائب الرئيس السوداني على عثمان محمد طه قد وقعا اتفاقية تنفيذ الطرق بين البلدين على البحر الاحمر ودرب الإربعين وبين أبو سنبل وحلفا .

ترى هل سيكون هناك اقتصاد وعملة واحدة أو اقتصادان وعملتان، فهذا القرر هو الممهد للوحدة أو الانفصال وكيف ستبنى القوات المسلحة الوطنية للسودان كله حتى لاتتمكن من إحداث أى انقلاب فى المستقبل ومن سيصوغ «الوجدان» من اذاعة وتليفزيون وتعليم ودور عبادة، هل سيترك الامر لكل إقليم فتنمو الفرقة والكراهية مرة أخرى فتفتح جروح لم تندمل، والمقرر أن يكون هناك «رقابة دولية» ترى هل سيقتصر عملها على وقف القتال «وتجفيف» منابع التسليح، وما إليها .

اننى أتصور أنهم من الذكاء - إذا كان هدفهم هو السلام - أن يحاولوا ايجاد ثقافة ومناخ «الأرضية المشتركة» بين الشمال والجنوب أى قبول الآخر من خلال التعليم والتليفزيون ولماذا التركيز على الشمال والجنوب وحدهما، فهناك مشاكل أخرى كثيرة ومعروفة مثل حركة «البجا» فى الشرق ثم مشاكل «كردفان» ودارفور وجبال النوبة وغيرها فى الغرب وتنمية واثار بلاد النوبة فى الشمال بل وهناك نزاعات تاريخية بين قبائل الجنوب ذاتها رغم اتفاق القيادات للدنكا والنوير والشولوك وكان لهذا التحالف أثره على تغيير توازن القوى وتوقيع وثيقة ماشكوس بل هناك نزاعات داخل الدنكا ذاتها كما هو معروف.. واحتاج إلى مسطح أكبر ولهذا المقال المحدود مسبقا لأسرد مجرد «عناوين» المشاكل التى تواجه السودان داخليا وبعدها خارجيا، ولكننى أدعو مصر حكومة وشعبا ورجال أعمال ومستثمرين وشركات قطاع خاص وعام ثم كشباب وفلاحين ، أن نرسل جميعا رسائل جديدة تحمل معانى أن مصرحريصة على السودان بشماله وجنوبه، واستطيع أن أقرر أنهم يحبون مصر ويودون الاقامة فيها ويتوددون إلى أهلها ومعظمهم يعرف تاريخها وثقافتها وأذكر واقعة سمعتها وهى أنه عندما كان الانشقاق العربى الذى صاحب غزو العراق للكويت عام ١٩٩٠ قامت مظاهرات فى عواصم الجنوب (جوبا واو وملكال) تؤيد استقلال الكويت ولما سألت، قالوا ببساطة: لقد قامت الكويت بإنشاء أكبر مستشفى لجنوب السودان على نفقتها ولذا أتوقع أن مصر لو حاولت كسب الجنوب خلال السنوات الست لنقل السلطة قبل الاستفتاء لتقرير المصير ستكون نتيجة الاستفتاء مع الوحدة وهى أفضل وأرقى وأكثر ثباتا لأنها وحدة طوعية.

ألخص فأقول أن اتفاق ماشاكوس (أو ميشاكوس كما يكتبها البعض) ماهو إلا بداية متواضعة لسلسل طويل من «بناء الثقة» بين القيادات والشعوب، ولأننى أعيش الآن فرحة شخصية وهى خطوبة ابنى هانى، لا أجد أفضل من أن أردد مع السودانيين الأحباء إلى قلبى عبارة والتى كنت أردها طوال الأسبوع الماضى...ربنا يتمم بالخير!!

د. ميلاد حنا

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية